ما تقوله الرسالة إلى أهل غلاطية ٣: ٢٦-٢٩ عن

المعمودية و«لبس المسيح»

تأليف: دڤيد روپر

من إحدى أهم العلاقات في الكتاب المقدس هي أن نكون أولاد الله. كل البركات التي يعطيها الله في هذه الحياة وفي الحياة القادمة مؤسسة على هذه العلاقة (رومية ٨: ١٧؛ غلاطية ٤: ٧).

كان بولس مهتماً لأن بعض المعلمين كانوا يطلبون أن يضللوا الغلاطيين ليعتمدوا على أساس ناموس العهد القديم للخلاص والبنوة. وأشار إلى أن التبرير لا يأتي بواسطة الناموس بل بواسطة الإيمان بيسوع المسيح (غلاطية ٢: ١٦). لم يوفر الناموس النعمة التي تجعلنا أبرار، لأنه لو كان الناموس يستطيع أن يفعل ذلك لكان موت يسوع عملاً لا داعي له (٢: ٢١).

قبل اعطاء الناموس كان الله قد وعد بان يبارك جميع الأمم بواسطة إبراهيم (غلاطية ٣: ٨؛ تكوين ١٢: ٣؛ ٢٢: ١٨). لم يأتي الناموس بالبركة؛ وإنما لعن كل من كان تحته، لأن الناموس يطالب بطاعة كاملة بدون خلل (٣: ١٠). ولكن هذا لا يلغي وعد الله أن يبارك بالمسيح نسل إبراهيم الواحد (٣: ١٦ و١٧). كان يجب أن يكون الناموس (الذي أُعطي ليساعد إسرائيل في أن يعرفوا عصيانهم) ساري المفعول حتى يأتي النسل، أي يسوع (٣: ١٩).

يعطي نظام الناموس معايير عند انتهاكه إذ يجعل الناس منتهكي القانون، وليس أبراراً. النعمة وحدها هي التي تجعل الخطاة أبراراً إذ جعل يسوع ذلك ممكناً. لو كان العمل بالناموس يعطي حياة لكان البر بالناموس (٣: ٢١). نظام الناموس الذي لا تلطفه النعمة يلعن الذين تحته لا غير، لأن الذين تحت مثل هذا النظام يكونون أبراراً فقط إن لم ينتهكوا الناموس أبداً (٣: ١٠). لا يقدر الناموس أن يبرر أحداً منا، لأننا قد أخطأنا جميعاً (٣:٢١ و٢٢؛ أنظر رومية ٣: ٢٣). نحن بصفتنا منتهكي الناموس يمكن تبريرنا فقط بعمل إنسان آخر غيرنا، هو يسوع المسيح، ينبغي أن نتوكل على ما عمله هو وحده (٣: ٢٢). لا يمكن أن نعتمد على أعمالنا على أساس نظام قانوني صارم.

لا بد أن تتم محاسبة كل من المسيحيين وغير المسيحيين تحت ناموس ما؛ وإلا لما كان هناك خطاة «حيث ليس ناموس ليس تعدٍّ» (رومية ٤: ١٥). وحيث ليس أيضاً تعدي، لا تكونَ هناك الحاجة إلى نعمة. نحن في العصر المسيحي تحت ناموس المسيح (١ كورنثوس ٩: ٢١؛ غلاطية ٦: ٢). نحن أيضاً مباركين بالنعمة التي أتت بواسطة يسوع – نعمة لم يأتي بها الناموس (غلاطية ٥: ٤). بموته جعل يسوع النعمة متاحة للذين عاشوا قبله (عبرانيين ٩: ١٥). وللعالم كله (١ يوحنا ٢: ٢)، بما فيه الناس الذين عاشوا في كل العصور.

كان القصد من الناموس هو أن يعلم بان هناك الحاجة إلى يسوع مخلصنا (غلاطية ٣: ٢٤). يساعدنا الناموس لنفهم بانه لا يمكن تبريرنا عن طريق أعمال البر التي قد نعملها – بل بالإيمان فقط في عمل الله. الآن بما أن يسوع قد جاء وجعل البر أمراً ممكنا بالإيمان به، فاننا لسنا بعد تحت «مؤدب»، أي الناموس (٣: ٢٥). الناموس يعتبر إسرائيل وحده شعب العهد مع الله. والآن يمكن للجميع – اليهود والأمم على حد سواء أن يصيروا أولاد الله في المسيح بالإيمان، وذلك عندما نعتمد (٣:٢٦ و٢٧). نحن بصفتنا أولاد الله جميعنا واحد في المسيح بغض النظر عن الجنس والمنزلة الاجتماعية أو أي تمييز مادي آخر (٣: ٢٨).

«أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع» (٣: ٢٦)

المعمودية، كما يعتبرها بولس، هي اللحظة

التي فيها ندخل المسيح ونصير أبناء الله في المسيح. بدخولنا في المسيح لا نصير أبناء الله فحسب، بل نشارك أيضاً في طبيعته. «إذن يجب أعتبار التعبير: «في المسيح يسوع» كمضاف للجملة كلها ويجب تفسيره بالطريقة التي استخدم بها بولس هذا الوصف في مكان آخر، أي يشير ضمناً إلى الشركة مع المسيح والاتحاد في الشركة معه».[1] عبّر جون ستوت بهذه الفكرة نفسها بطريقة أبسط:

> إن كنا أبناء الله فلا بد اننا في المسيح يسوع ... بالإيمان (آية ٢٦)، ما هي الترجمة الأفضل من الترجمة المألوفة «بالإيمان بالمسيح يسوع. أنه بالإيمان الذي لنا في المسيح يسوع وبواسطة الوجود في المسيح صرنا أبناء الله».[2]

ان استخدام بولس لكلمة «إيمان» يسبقه عادة أداة التعريف «ال»، ويُكتب «الإيمان» بالمفهوم العام، هكذا الكلمة «الإيمان» كما أشار إليها جورج دانكن «وردت في وقت مبكر من تاريخ هذه الرسالة لتكون وصفاً للدين الجديد» كما عمل الكلمة «الناموس» لوصف الدين القديم».

تقول الرسالة إلى أهل غلاطية ٣: ٢٦: «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع».

«لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح...» (٣: ٢٧)

المسيحيون ليسوا تحت مؤدب «لأننا» (الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى «لأن» هنا هي: غار γάρ تستعمل لتفسير السبب) أبناء الله بالإيمان. المضمون هنا هو انه في العصر المسيحي لسنا أبناء لننقاد بيد مؤدب (الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى مؤدب هنا هي «پايداغوغوس παιδαγωγός» الآيتين ٢٤ و٢٥). «في زمان بولس كان پايداغوغوس παιδαγωγός هو عبد يتم استخدامه عند الأسر اليونانية والرومانية للعناية بالطفل في البيت وخارج البيت (من عمر ٦ سنوات إلى ست عشر سنة). (مقتبس من دانيال أريشيا الابن ويوجين نيدا).

فسر المعلق بروس الكلمة «پايداغوغوس» كما يلي:

> ... عبد يتم تعيينه ليخدم بصفة شخصية ويرافق الولد المولود حراً أينما ذهب من الوقت الذي ترك فيه اهتمام مربيه. كانت مهمته هو ... أخذ الولد إلى المدرسة... انتظاره هناك ... وثم العودة به إلى المنزل، واختبار ذاكرته ، حيث يجعله يسرد الدرس الذي قد تعلمه. خلال سن القصور يفرض پايداغوغوس παιδαγωγός ضوابط لازمة على حريته حتى يمكن الوثوق فيه بمرور عمره بانه يستخدم حريته بمسؤلية. (مقتبس من ف.ف بروس).

إذن كان المؤدّب عبداً من عبيد المنزل، تنتهي مهامه التربوية بعد ما يأخذ الطفل إلى المعلم.

هكذا وبطريقة ممثالة كان عمل الناموس كـ«پايداغوغوس παιδαγωγός»، أي عبد منزلي ليأتي بنا إلى يسوع. بما أن يسوع جاء، فلسنا بعد في حاجة إلى الناموس ليرشدنا. يمكننا التمتع الآن بالبركات والحرية التي للأبناء (غلاطية ٤: ٦ و٧)، بعد ما صرنا أبناء الله في المسيح بالإيمان (غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧).

بصيرورتنا أبناءاً علينا أن نشبه عائلة المسيح بالإيمان «لأننا» بالمعمودية في المسيح لبسنا المسيح. يعني أن نأخذ طبيعته (غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧). كان بولس يقول {ما بمعناه} اننا بالمعمودية نصير أبناء الله ونأخذ طبيعة الله كما يأخذ الأبناء طبيعة والديهم. عندما نستجيب إلى الإيمان تحرز المعمودية هذه النتائج.

«... قد لبستم المسيح» (٣: ٢٧)

الفكرة بان نأخذ طبيعة الله لأننا «أبناء الله» موجودة في العبارة «... لبستم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٧).

---

[1] مقتبس من دانيال أريشيا الابن ويوجين نيدا.
[2] مقتبس من جون سكوت.

عند استخدام العبارة «لبس» مجازياً تعني «أخذ صفة أو موقف» الشخص المشار إليه، أو «يصير مثل» الشخص المشار إليه. لبس المسيح يعني أن تصير مثل المسيح، أي أن يأخذ الشخص صفة المسيح وموقفه أمام الله (بصفته ابن الله).[٣]

علق هرمان ريدربوس بما يلي:

كما أن الثوب الذي يلبسه الشخص (أو قد لبسه الشخص أو الملبوس: يوجد لصيغة المجهول مؤيدات أيضاً) يغطي الشخص الذي يلبسه تماماً، ويبين مظهره وحياته، هكذا أيضاً الشخص الذي اعتمد في المسيح يكون في المسيح كاملاً وفي الخلاص الذي أتى به.

قال جورج دانكن:

يوصف الشخص اللابس بطريقة رائعة بما يرتديه ... هكذا عندما يعتمد الإنسان يوصف تماماً بالمسيح بحيث لا يحيا هو بل المسيح هو الذي يحيا فيه. مهما كان ذلك الشخص من قبل، يكون في المسيح خليقة جديدة.

بطريقة مماثلة يأخذ مظهرنا طبيعة ملابسنا المادية، هكذا أيضاً نأخذ صفات المسيح وذلك بان نلبسه. لا يحدث هذا بسبب شعائر المعمودية الخارجية فقط، بل بسبب

[٣] مقتبس من أريشيا ونيدا.

«أبناء الله» (غلاطية ٣: ٢٦)

الصيغة «أبناء الله» تشمل الأفكار الآتية (١) الأصل (٢) العلاقة (٣) الطبيعة.

نحن أبناء الله أولاً بسبب أصلنا الروحي. الولادة الروحية من الله هي التي تجعلنا أبناءه. كما أن المولودين من أبوين هم أبناؤهما، هكذا أيضاً المولودين من الله هم أبناءه. إذا اختبرنا الولادة الجديدة التي ذكرها يسوع (يوحنا ٣: ٣-٥؛ أنظر ١ بطرس ١: ٣ و٢٣)، فنحن أبناء الله لأننا مولودين من الله (يوحنا ١: ١٣).

نحن أبناء الله، أي أولاده لأننا أصبحنا في علاقة روحية مع الله. استخدم بطرس الكلمة «ابن» بهذا المفهوم داعياً مرقس ابنه (١ بطرس ٥: ١٣)، يعني أنه كانت لمرقس علاقة روحية معه كابن روحي أصغر.

ثالثاً: نحن أبناء الله لأنه بالولادة الروحية الثانية نأخذ طبيعته، أي طبيعة الذي وُلدنا منه. في رسالة يوحنا الأولى نعلم بانه إن كنا مولودين من الله، فلا نمارس الخطيئة (٣: ٩؛ ٥: ١٨). نحن نحب الله ونعرفه (٤: ٧)، ونؤمن بيسوع (٥: ١)، وغلبنا العالم (٥: ٤)، ونحفظ أنفسنا لكي لا يمسنا الشرير (٥: ١٨).

الكلمة اليونانية «هويوي υἱοὶ» التي تُترجم إلى «أبناء» أو «أولاد» قد تشمل فكرة أخذ طبيعة الشخص الذي نحن أبناءه أو أولاده. أُستخدمت الكلمة «ابن» بهذا المفهوم في النصوص الآتية:

«ابناً لجهنم» (متى ٢٣: ١٥).
«ابني الرعد» (مرقس ٣: ١٧).
«ابن السلام» (لوقا ١٠: ٦).
«أبناء هذا الدهر» (لوقا ١٦: ٨؛ ٢٠: ٣٤).
«أبناء النور/ أبناء نور» (لوقا ١٦: ٨؛ يوحنا ١٢: ٣٦؛ ١ تسالونيكي ٥: ٥).
«أبناء القيامة» (لوقا ٢٠: ٣٦).
«ابن الهلاك» (يوحنا ١٧: ١٢).
«ابن الوعظ» (أعمال ٤: ٣٦).
«ابن إبليس» (أعمال ١٣: ١٠).
«أبناء المعصية» (أفسس ٢: ٢؛ ٥: ٦).
«أبناء نهار» (١ تسالونيكي ٥: ٥).
«ابن الهلاك» (٢ تسالونيكي ٢: ٣).

في كل حالة من هذه الأحوال تعني الكلمة «ابن/ أو أبناء» على الطبيعة نفسها. نحن أبناء الله لأننا بعد ما ولدنا منه صارت لنا صلة روحية معه ولنا طبيعة صفاته العائلية.

مشاركة روحية داخلية في العمل الذي فيه قد خلعنا «الإنسان العتيق مع أعماله و{لبسنا} الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كولوسي ٣: ٩ و١٠).

يكافئنا الله بالخلاص والبنوة عندما يدفعنا إيماننا بما عمل يسوع نحو المعمودية. انه لا يجازينا على أساس قيمة المعمودية نفسها، بل يخلصنا بسبب الإيمان الذي يحثنا للعمل. المعمودية ليست نهاية في حد ذاتها؛ وإنما هي عمل على أساس الإيمان بيسوع والذي يقود إلى حياة جديدة. عندما نصير أبناء الله نأخذ شبه عائلة الله في صفات طبيعة يسوع.

«لأنكم جميعاً واحداً في المسيح يسوع» (٣: ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩)

المعمودية والوحدانية

استخدم بولس التعبير «لأنكم جميعاً أبناء الله» (غلاطية ٣:٢٦). ليؤكد على أن جميع الأمم في العائلة نفسها. انهم كإخوة في المسيح لهم صفات العائلة الروحية نفسها، بغض النظر عن المنزلة الاجتماعية أو الجنس. بعد ما قال أن جميع الذين اعتمدوا يدخلون المسيح، قال بولس أيضاً أن الجميع واحداً في المسيح (غلاطية ٣: ٢٧ و٢٨). تجعلنا المعمودية جميعنا أبناء الله، وبهذه الطريقة توحدنا المعمودية. انها لا تدخلنا في طوائف دينية مختلفة، وإنما تدخلنا في العائلة نفسها: الجسد الواحد (١ كورنثوس ١٢: ١٣)، أي جسد المسيح (١ كورنثوس ١٢: ٢٧)، الذي هو الكنيسة (كولوسي ١: ١٨).

تُمارس أنواع كثيرة مختلفة من «المعمودية» اليوم، وذلك يضع الناس في كنائس كثيرة مختلفة. المعمودية الواحدة التي بحسب العهد الجديد تضعنا في جسد واحد فقط (أفسس ٤: ٤ و٥). هذه المعمودية الواحدة لا تخلق أخ غير شقيق أو أخت غير شقيقة بل تنتج إخوة وأخوات، أي أبناء الله الذين يجب أن يتشابهوا في الطبيعة. فانهم في العائلة نفسها، وموحدين معاً في المسيح. قُصد بالمعمودية أن تكون عملاً موحداً عوضاً عن مصدر الإنقسام.

نحن ننتمي إلى المسيح

كلنا الذين ننتمي إلى يسوع لأننا اعتمدنا فيه، نحن نسل إبرهيم ووارثين البركة التي وعد بها الله لنسل إبرهيم، أي يسوع (٣: ٢٩). كما أن الغذاء الذي يدخل فينا يكون جزءاً منا، هكذا أيضاً الذين يدخلون المسيح يصيرون من الناحية الروحية جزءاً منه وينتمون إليه. ندخل في هذه العلاقة بالمعمودية فيه. إن لم نكن قد اعتمدنا، فنحن خارج يسوع – غير لابسينه ولا ننتمي إليه.

الخلاصة

المعمودية مطلب إلهي كعمل الإيمان بذبيحة يسوع الكفارية. عندما نقبل المعمودية نعبر عن الثقة في دم يسوع أن يغسل خطايانا ويغير حياتنا. استجابة القلب الصادق في المعمودية من قبل الشخص الذي يعرف معناها تؤدي إلى حصوله على حياة جديدة (رومية ٦: ٤) أي مخلوق في صورة خالقه (كولوسي ٣: ١٠). يتحول إلى خليقة جديدة (٢ كورنثوس ٥: ١٧)، كل من هو ابناً لله يلبس طبيعة يسوع (غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧). يجب أن تكون المعمودية أكثر من مجرد استجابة لشعائر؛ بل ينبغي أن تغيرنا إلى أولاد الله اللابسين يسوع.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧

شعب الإيمان والعمل

يُسمى تعليم يسوع بـ«الإيمان» لأنه يتطلب إيمان من السامعين له. الإيمان هو القوة الدافعة التي تحثنا على القيام بأعمال. يتم مكافأة أعمالنا بحسب إيماننا الذي يحث على هذه الأعمال. لا تكون للأعمال قيمة من غير الإيمان (عبرانيين ١١: ٦)، ولا تكون للإيمان قيمة بدون عمل (يعقوب ٢: ٢٤). المثال التوضيحي الذي يعطيه الله للإيمان المرضي، أي الإيمان الذي يجازيه {الله} بسبب الناتج عنه يوجد في الأصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين. كان الأشخاص المذكورين ادناه مقبولين عند الله لأن إيمانهم حركهم للعمل:

قدم هابيل ذبيحة (آية ٤).
أخنوخ الذي سار مع الله (أنظر تكوين ٥: ٢٤)، رفعه الله (آية ٥).
بنى نوح فلكاً (آية ٧).
أطاع إبرهيم وخرج كما أمره الله (آية ٨).
حبلت سارة (آية ١١).
قدم إبرهيم إسحق (آية ١٧).
أوصى يوسف بخصوص عظامه (آية ٢٢).
والدا موسى أخفياه (آية ٢٣).
لما كبر موسى أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون (آية ٢٤).
ترك موسى مصر (آية ٢٧).
أقام موسى الفصح (آية ٢٨).
اجتاز شعب إسرائيل في البحر الأحمر (آية ٢٩).
طاف إسرائيل حول أسوار أريحا (آية ٣٠).
أخفت راحاب الجاسوسين (آية ٣١).

هذه الأمثلة على إيمان الطاعة هي دليل على أن الله يقبل الإيمان فقط عندما يحركنا لنعمل بطاعة معتمدين على كلمته. نحن نطيع بالإيمان لأننا نثق بان الله سيجازينا بحسب ما وعد به. البركات التي يعطينا الله تتحقق بكلمته؛ لا تتحقق بالعمل الذي يطالبنا به تعبيراً لإيماننا.

الذين يعلمون أن المعمودية غير ضرورية للخلاص يؤسسون تعليم «الإيمان وحده» على كتابات بولس. ولكن هذا يبين الافتقار إلى فهم تعليم بولس ويجعل بولس يناقض كلمات يسوع والعهد الجديد. قال يسوع بان الذين يدخلون الملكوت هم الذين يفعلون إرادة الآب (متى ٧: ٢١). وقال بان الناس مباركين لأنهم يسمعون كلمة الله و«يعملون» بها (لوقا ١١: ٢٨). هذا بالإضافة إلى انه شجع الناس على العمل من أجل الطعام الباقي للحياة الأبدية (يوحنا ٦: ٢٧). علم يعقوب قائلاً: «انه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» (يعقوب ٢: ٢٤). وعلم بطرس بانه يتم تطهير نفوسنا في «طاعة الحق» (١ بطرس ١: ٢٢). كتب يوحنا: «نعرف أننا قد عرفناه» و«نعرف أننا فيه» (١ يوحنا ٢: ٣-٥؛ ٣: ٢٤) إذا عملنا بوصاياه.

نظرية الإيمان وحده تجعل بولس أيضاً يناقض نفسه، لأنه كتب بان الحياة الأبدية تُعطى لـ«الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء» (رومية ٢: ٧). وقال أيضاً: «ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها وإذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيد للبر» (رومية ٦: ١٧ و١٨). «إذاً يا أحبائي كما أطعتم كل حين ليس كما في حضوري فقط بل الآن بالأولى جداً في غيابي تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (فيلبي ٢: ١٢). نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين ٥: ٩ أن يسوع «صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي».

المعمودية ليست العمل الذي يمحي الخطايا بحد ذاته؛ بل على أساس الإيمان بيسوع. وهذه الحقيقة تعني ببساطة أن المعمودية هي إستجابة الإيمان التي يتم مكافأتها بسبب الإيمان بعمل الله الذي حث بهذا العمل.